

## أعمال الملك عبد العزيز الاملرمة

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية ، المتصلون بها ، الخابرون لشئونها ، الملهون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذي يعرف بلاد العرب قبل ثلاثين سنة عن خبرة شخصية ، أو يقرأ كتب الجوايين من الأنجليز يعرف ما لهذا الرجل من فضل في استتباب الأمن والنضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل والذي يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها وحروب مستمرة بين حكائها يقدر مجهود هذا الرجل في قطع دابر الحصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة

ولقد ذكرنا في فصول متفرقة في هذا الكتاب ما له من الأيادي كإدخال النظام الصحي الحديث في نجد والاحساء : بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المنقلة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لا تساعد على إنشاء مستشفى في كل بلد ، كما أدخل نظام التطعيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض المتعصبين ، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة ، ولولا المال الذي يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التي يقود سفينتها عبد العزيز أسبق البلاد العربية وأسرعها خطأ في طريق التقدم

والملك عبد العزيز في طريقه الإصلاحى يفضل التؤدة والتأنى واستعداد الشعب لما يريد من الإصلاح إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التي يعانها الملك عبد العزيز

ولا العقبات التي تقف في سبيل ما يريد من المشروعات  
لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجالد في سبيل التليفون والتلغراف  
اللاسلكي مرة مع الاخوان ، وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات ، وكان  
هذا الموضوع من الموضوعات التي أنارت حفيظة الاخوان  
سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، لتعرف المحيط الذي يشتغل  
فيه الملك عبد العزيز ، وتعرف الصعوبات التي يتغلب عليها :

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م مع عالم من علماء  
نجد للتفتيش الادارى والدينى ، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكى وما يتصل به من  
المستحدثات ، فقال الشيخ : لاشك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن ،  
وقد أخبره ثقة أن التلغراف اللاسلكى لا يشتغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة ،  
ويذكر عليها اسم الشيطان ، ثم أخذ يذكر لى بعض القصص عن استخدام بنى  
آدم للشيطان ، ولقد كان شرحى لنظرية التلغراف اللاسلكى وتاريخ استكشافه  
ليس له نصيب من اقناع الشيخ ، فلم أجد أى فائدة من وراء البحث فسكتُ  
على مضض

وفى يوم من الأيام دعانى الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول عند جبل  
أحد ، وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة ، فلبيت الدعوة وسرنا من  
المدينة بعد صلاة العصر ، وفى أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف  
اللاسلكى ، وهنا دار بينى وبينه الحديث التالى :

سأل الشيخ لماذا وقتت السيارة ، فأجبتة لنرى التلغراف اللاسلكى ، فان  
كان هنالك ذبائح ودعوة لغير الله ، فانى سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله  
لا لابن سعود ، وقد يكون الملك مخدوعا فى أمر هذه التلغرافات وتذكر له الأشياء  
على غير حقيقتها ، فقال الشيخ : بارك الله فيك ، فدخلت المحطة ، وبعد البحث لم يجد

الشيخ أى أثر لعظام الذبائح وقرونها أو صوفها ، ثم أراه العامل طريقة الخابرة ،  
وفى دقائق تبودلت الخابرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك فى جدة  
كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقد من عمل الشيطان  
فى الخابرات ، ولكنه ظن أنى ربما دبرت هذه المكيدة بإيعاز من الملك ، فزار  
الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً فى أوقات مختلفة بدون أن يخبر أحداً  
بعزمه ، فكان يفاجئ العامل بالزيارة ويسأله عن كل ما يغمض عليه ، وقد أخبرنى  
الشيخ ونحن فى طريقنا إلى مكة بأنه يستغفر الله ويتوب إليه عما كان يعتقد  
ويتهم به بعض الناس (وربما كان يقصدنى) فى هذا الأمر ، ثم ختمت الموضوع  
بقولى : ماقولكم يا حضرة الشيخ فى رواية أولئك الثقات أخشى أن تكون رواياتهم  
لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التلغراف ، فقال : حسبي الله  
ونم الوكيل

وقد أخبرنى جلالة الملك فى شعبان سنة ١٣٥١ هـ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م  
أثناء زيارتى للرياض أن المشايخ (أى رجال الدين) حضروا عنده سنة ١٣٣١ هـ لما  
علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية فى الرياض وبعض المدن الكبيرة فى نجد ،  
فقالوا له : يا طويل العمر ، لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله  
إلى بلادنا ، وإن « فلبى » سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للانجليز ،  
فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد ، ولست والله الحمد بضعيف العقل  
أو قصير النظر لأخدع بخداع الخادعين ، وما فلبى إلا تاجر وكان وسيطاً فى هذه  
الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلها لأحد إلا بالثمن الذى استلناها به .  
إخوانى المشايخ : أتم الآن فوق رأسى تماسكوا بعضكم ببعض لا تدعونى أهز  
رأسى فيقع بعضكم أو أكثركم ، وأتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن  
أن يوضع فوق رأسى مرة ثانية ؛ مسألتيان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهما

لى وبلادى ، وليس هنالك من دليل أو سنة رسول يمنع من أحداث  
اللاسكى والسيارات

وعند ما وضعت الآلة اللاسكية فى الرياض واستعملت ، كان الناس يغرى  
بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر ، وكان العلماء يرسلون  
من يآتمنونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذباح تقدم لهم ، فلم يجدوا شيئاً  
وقد أخبرنى عامل المحطة بأن بعض المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من  
وقت لآخر لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين ، وهل الشيطان الكبير فى مكة  
أو الرياض ؟ وم عدد أولاده الذين يساعده فى مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم  
بأن ليس للشياطين دخل فى عمله ، وكان بعضهم يغريه بالنقود وأنهم سيكتمون  
هذا السر ، ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع  
صناعى محض . كانت الأيام تعمل عملها فى نفوسهم ، ورسلمهم ينقلون إليهم حقيقة  
ما يرونه ويشاهدونه حتى لسوا فائدة سرعة الأخبار فى فتنة ابن رفادة وعسير ،  
فقد ساعدهم ذلك فى قمع الفتنة سريعاً ، ولو كان الاعتماد على الجمال لكانت  
الأخبار لاتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومثلها فى الرجوع ، ولا يعلم إلا الله  
ماذا يجرى من الحوادث أثناء ذلك

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجرى فى القرون الوسطى فى أوربا ، فإذا  
قوبل القائل بدوران الأرض ؟ وبماذا قابل امبراطور فرنسا ووزراؤه الساعة التى  
أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يفزعوا منها ، ولقد حدث مثل هذا فى نجد قبل ستين  
سنة ؛ فإن أول ساعة دقاقة كسرت وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض  
الجهلة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة ، فقامت قيامة الإخوان منكرين على المشايخ  
استعمالها ، وأن أقل الأحوال فيها أنها بدعة فتصدى لهم الشيخ سعيد بن سحمان  
ورد عليهم فى رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦م) وطبعت فى مصر سنة ١٩٢٣

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة بن سعود ومقدار ما يعانیه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد

ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز مشروع تحضير البادية ، وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة ، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسماً من التاريخ النجدى الحديث ، أحيينا أن نفرده له الفصل الآتي مفضلين التفصيل على الإيجاز

